

أنت أقوى من الذرة

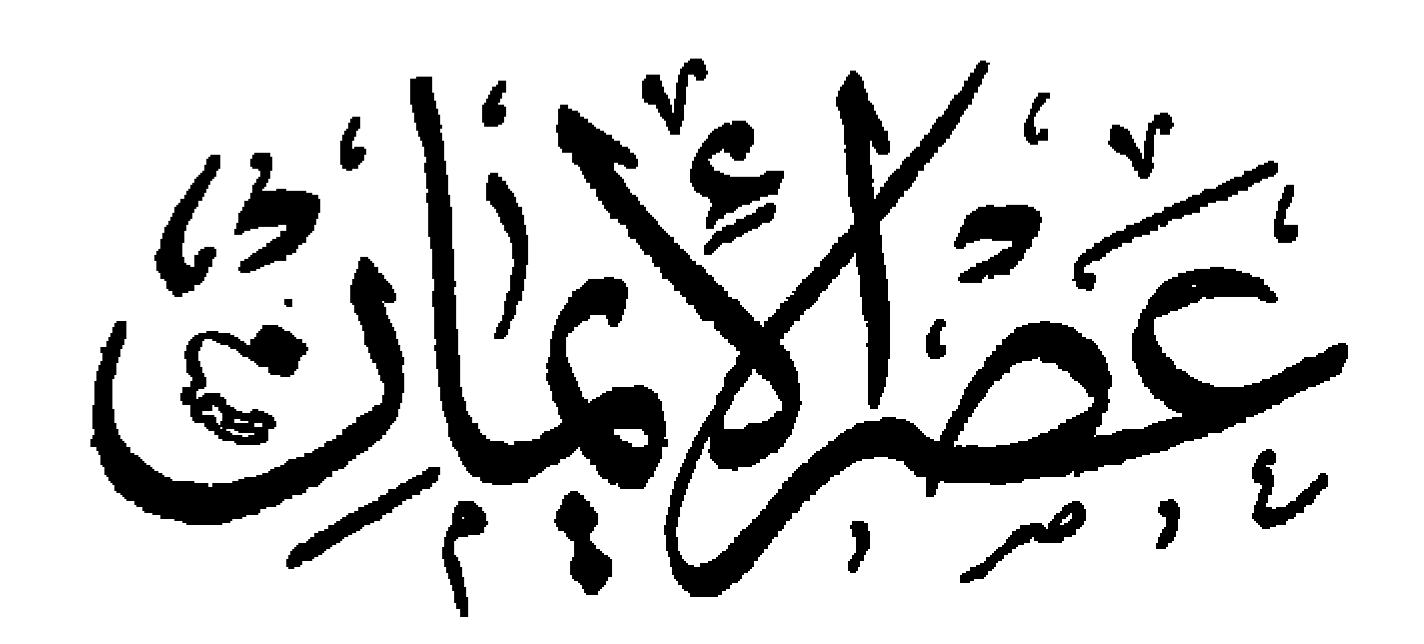
بقلم

محمد عبد المنعم ابراهيم
المحامي

١٩٥٩

الثمن ٥ قروش

المطبعة السلفية - ومكتبتها



أنت أقوى من الذرة

بقلم

محمد عبد المنعم ابراهيم

المحامى

المطبعة السلفية - ومكتبتها

إهداء

إلى الإنسان
الذى حمل لواء الإيمان
فسما بإنسانيته
وسما به بشريته

بسم الله الرحمن الرحيم

— ١ —

ما هى الحياة ؟

لم يصل مفهوم الحياة فى الأذهان ـ فى وقت من الأوقات . . الى ماوصل اليه الآن . . أصبحت المسألة واضحة . . لا لبس فيها ولا غموض .

واذا كانت العقول قد بذلت جهداً كبيراً فى الماضى لمحاولة الوصول الى معرفة « الحياة » ، وأنها قد طرقت سبلا متعددة لهذا الغرض . . واذا كانت رأت أن الحياة فى الحرارة ـ أو الوعى ـ أو المعرفة ـ أو الحركة ، ثم أخذت تبين على هذا القياس من هم الأحياء ومن هم غير الأحياء ـ اذا كان ذلك قد حدث فيما مضى واشتد فيه الخلاف فان المسألة الآن أصبحت بسيطة واضحة .

كل ما على الارض وتحت الارض وفوق الارض أحياء . . . كل الموجودات انسان . . حيوان . . . ماء . . هواء . . جماد . الكل أحياء . . . . الكل من معدن واحد . . من جنس واحد .

الحديد هو الذهب ، هو الفضة ، هو الماء ، هو الهواء ، هو الانسان ، هو النبات ، هو الحجر ، هو الخشب . . الكل من عنصر واحد ـ تركيب واحد .

نواة . . . كهارب . . . تجمعها طاقة .

الـكل يسبح فى فلك حول نواته .

الـكل حى . . . . متحرك . . ولكل طاقته . .. . وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم .

لسنا بصدد بحث تفصيلى فى الذرة ، وانما نحن بصدد الانتفاع بالكليات التى أثبتها العلم بعد الاكتشافات الحديثة الخاصة بالذرة . . فقد ثبت أن الكل واحد . . . من جنس واحد . . . من أصل واحد . . . الكل يشترك فى حركة دائبة متواصلة . . حركة لأجزاء الذرة حول نواتها . . ثم حركة لبعض الاجسام تستمد مبعثها من داخل نفسها .. ثم حركة لبعض الأجسام تستمد مبعثها من مؤثرات خارجية . .

والـكل يقوم بحركة جماعية فيدور فى فلك اكبر . . ثم هذا الفلك نفسه يدور هو الآخر حول محور أكبر منه . . وهكذا إلى مالا نهاية

لهذا فان مظهر الحياة ، الحركة . . . وأنت حى لانك تتحرك .
وأنت من أكثر الناس حياة . . لانك تتحرك :

١) بباعث داخلى

٢) بباعث خارجى

٣) وأنت أيضا تعتبر الباعث الخارجى لحركة بعض الاشياء ، ثم انك تدور فى الفلك مع الارض . . . وهذا الفلك يدور بدوره حول محور آخر ، وهكذا إلى ما لا نهاية .

فأنت ـ الانسان ـ من أكثر الموجودات حركة ومن أكثرها إيجاداً للحركة . . ان لم تـكن أكثرها على الإطلاق .

الحياة فى الماضى والمستقبل

وكما أنك تعيش فى الحاضر وتتحرك فأنت تتحرك فى الماضى أيضاً ، بل وتتحرك فى المستقبل ، وتتحرك وأنت فى مكانك

لقد أعطى الإنسان قدرة عجيبة على الحياة ، أو طاقة لهذه الحياة لا ينضب معينها

فالإنسان كما يتحرك فى يومه وكما يتحرك بباعث داخلى وكما يجعل بعض الأشياء تتحرك أيضاً . . يمكنه أن يتحرك أيضاً فى الماضى . . الماضى القريب . . والماضى البعيد أيضاً

لقـــد اقتحم الإنسان على قدماء المصريين مقابرهم ومعابدهم وأسرارهم وحياتهم كلها . . لقد عاش معهم . . لقد تحرك إلى الماضى وضاعف من حياته . . وقل مثل ذلك عن اليونان والرومان والمغول والأتراك وغيرهم

وكما يعيش ويتحرك إلى الماضى فهو كذلك يتحرك فى المستقبل . فالعقل لا حد له ولا ضابط . . هو يسير إلى آلاف السنين المقبلة وهو يسير إلى عشرات منها فقط

هو دائب الحركة فى أمسه ويومه وغده ، ولذلك فالإنسان يعيش حياة مضاعفة . . هو لا يعيش بعدد سنى عمره الظاهر وإنما

يعيش بقدر حركته مع الزمان والمكان ، ولذلك أعتقد أن البعض منا يمكنه أن يتحرك أو يعيش ـ والتعبيران واحد ـ مئات السنين بل آلاف السنين وملايينها

ثم ان هذا الانسان يحب الحركة . . فنحن نحب الأطفال لأنها دائبة الحركة ونحب الرياضة لأنها حركة ، ونصف العقل الذى خبا بأنه خمد أى بطلت حركته

وكما يعيش الإنسان فى الماضى والمستقبل ـ يعيش الانسان فى منزله . . وفى قريته . . وفى بلده .. وفى بلد غيره .. وفى أقصى المعمورة . . يمكنه أن يذهب اليها بالسيارة والطائرة . . وغداً بالصاروخ . . ويمكنه أن يذهب اليها فى كتاب . . أو خريطة . . أو سينما . . أو محاضرة . . أو مجموعة من الدراسات

ولقد سافرت إلى بلاد بعيدة وكنت أسير فى شوارع أعرفها وأتكلم مع أناس رأيتهم قبل ذلك وزرت معالم عشت فيها قبل ذلك بعقلى وتفكيرى وعلمى ودراساتى

والإنسان بعد هذا كله يستطيع أن يضم إلى حياته الكبيرة حياة أكبر .. وأولادى استمرار لهذه الحياة ومضاعفة لها عشرات المرات بل مئاتها وآلافها . . ودراستى أنا استمرار للحركة والحياة ومضاعفة لها عشرات المرات وآلافها

ثم تعليمى لغيرى هو دفع لحياته عشرات المرات ومئاتها وهو

استمرار للحركة بالنسبة لى وله إلى ما لا نهاية . .

ومعرفتى بالناس هو حركة ، وهو ضم لحياة غيرى لى

فالعيش بين الجيران والأصدقاء والأولاد هو مضاعفة للحياة وزيادة للحركة واستمرار لها وفتح لآفاق ومعرفة وحركة وحياة جديدة

كما أن مخالطة العناصر المتحركة تزيد فى حياتنا وفى حركتها . ولهذا كان من الواجب أن نبحث عن العناصر القيمة جداً والمباحة فى نفس الوقت فنتمتع بها ونزداد من حياتها وحركتها وحيويتها

الهواء الطليق والشمس والماء . . الطبيعة الحية . . الأزهار . . الطيور . . هذه الأشياء بلا ثمن وهى أثمن أشياء فى نفس الوقت وألزمها للحياة . . فالاتحاد بها فى حالة الحركة . . فى الطبيعة . . شاطئ البحر . . صفحة النهر - فوق الجبل . . مع الورود وهى تتفتح لتصافح النسيم وتعرض رحيقها على الفراشات وتتضوع وتبذل عطرها النفيس لك

مع الأطيار وهى تملأ الفضاء حركة وشدواً وهى تنشد لك أغرودة الأمل والرجاء وتصفق بجناحيها للشجر والنجم والقمر . . تستقبل الشمس بأغنية ، وتستقبل الليل بترنيمة ، وتغرد للوردة .. وتفرح للنسمة .. وتسير مع الفضاء والهواء والضياء

مع النور حينما ينساب مع الفجر خيوطاً مضيئة لامعة ، ثم

لا تلبث أن يكسوها الذهب مهابة وجمالا لتبعث الدفء والحرارة والحياة والطاقة لكل الكائنات

مع الصباح والنور المباح وهو ملك لى ولك وللنبات وللطيور وللماء وللسماء ولكل ما على الأرض وتحت السماء

كل هذا وأكثر من هذا من عنصرنا ومن طبيعتنا ومن نفس تركيبنا وهو يزيدنا حركة وحيوية وطاقة وحياة ، وكل ذلك دون أن نتكلف إلا أن نعرف كيف نكون . . وكيف نتحرك . . ونسعد . . ونندمج . . ونحيا . . ونعيش

— ٣ —

المعرفة

وهكذا نرى الحياة معرفة وعلماً ، ونرى أن مضاعفة الحياة يكون بالذهاب للماضى والتوسع فى الحاضر والقفز إلى المستقبل

وان الاندماج مع العناصر الثمينة فى هذه الحياة يجعلنا أكثر حركة وحيوية وطاقة وحياة . ولا شك أن جلستنا مع الأطيار والأزهار والنور تجعلنا نرتفع معها ونعيش وإياها : فالإنسان ببيئته سواء فى عالم الواقع أو فى عالم يصنعه من تفكير صادق أو علم سليم

ولقد سبق أن قلت إنى عشت فى جهات لم تطأها قدماى وقتها لأنى ذهبت إليها بعقلى عن طريق العلم ، فى الكتاب والدراسة والسينما . . فلما ذهبت اليها وجدت أننى سبق أن عرفتها تماماً . . لا فارق بين الاثنين . . لم يكن الأمر خيالا جامحاً .. ولا شطحة وقتية .. وإنما كان أمر عقل ودراسة ـ أمر علم .. صميم .. فهل يمكن أن يرتفع عقلنا أيضاً وأن يتسع علمنا إلى ما هو أعظم من ذلك وأجل ؟ هل يمكن أن نصل إلى درجة الخلود ؟

إن البيئة والوسط .. هى أكبر عامل يؤثر فى الإنسان فى هذه الحياة !

إن الذى يولد بين البكم لا يمكن أن يتعلم الكلام

والإنسان الذى ولد وسط الغاب وتعهدته الذئبة وجد وهو يمشى على أربع !

وأنت إذا تصنعت الضحك أو البكاء وجدت نفسك بعد مدة وأنت تضحك أو تبكى حقيقة !

وإذا تعودت أوساط المقامرة والشذوذ والضعة فستصبح مقامراً شاذاً وضيعاً !

أما إذا عشت بين العلماء والأدباء والمفكرين فسترتفع إليهم شيئاً فشيئاً ، فاذا أدمنت المجالسة أصبحت عالماً أديباً مفكراً

والطفل إذا قرأ كثيراً عن الجريمة وذهب إلى روايات السينما التى تصور الإجرام والشر يصبح بعد زمن مجرماً وشريراً

كل شىء ينتقل بالعدوى فى هذا العالم .. فكما تنتقل ميكروبات المرض وجراثيمه .. تنتقل ميكروبات الجهل والشذوذ وجراثيم الجريمة والرذيلة

فلا تعتمد على الحصانة فى عدم إصابتك ، بل ابتعد عن مهاوى الهلاك .. بل ابحث عن مراتب الخلود .. جالس العظماء والكبراء والعلماء واقرأ سير القادة والزعماء والمصلحين وأدمن على فعل الخير والجميل حتى تصيبك عدوى الفضيلة والعلم والأخلاق

زر مقابر العظماء فسترتفع أثناء الزيارة إلى مستواهم ..

ستذكر أعمالهم وفضائلهم وعظمتهم .. وستستفيد من كل ذلك ، لا تسمع لكلام من يقول إن ذلك حرام

إنك إذا زرت قبر من أسعد العالم ستسعد ، هل يمكنك أن تزور قبر صلاح الدين مثلا إلا وأنت تذكر بطولة صلاح الدين وجهاد صلاح الدين وسماحة صلاح الدين ؟

إن من يريد أن يحرمك لذة الحياة هو من يريد أن يمنعك من زيارة قبور العظماء والأولياء والبررة والصالحين

ستذكر أثناء الزيارة وبعدها وقبلها عظمتهم وولاءهم وبرهم وصلاحهم .. فلا تحرم نفسك من هذا المقام العظيم

ستزداد معرفة وعلماً وحركة وحياة وستضم حياتهم وبعضها خالد .. إلى حياتك السعيدة

— ٤ —

الخلود

عرفنا أن الحياة عبارة عن حركة .. وأن الإنسان يمكنه أن يتحرك فى الحاضر كما يمكنه أن يتحرك فى الماضى والمستقبل . وأن المعرفة بدورها حركة هائلة . وأن الإنسان يمكنه أن يعيش أربعين سنة ، يمكنه أن يزيد فى حركته ويعيش ستين سنة بل مائة بل أكثر من ذلك مئات السنين .. والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن بعد ذلك هو ألا يوجد طريق للخلود ؟!

إننا بمخالطتنا العظماء سواء فى الحاضر أو الماضى نزداد معرفة وعلماً وحياة ونرتفع إلى آفاق عالية .. ألا يوجد سبيل للخلود ؟

لقد قال أحد الشعراء إن الحب خالد وباق ، فهو إن خيل إليك أنه زال فان ذكراه تجعله خالداً .. وما دام الحب أصيلا فان ذكراه لا تزول .. وبذلك يعيش الإنسان ومعه إما الحب أو ذكراه وكلاهما فى نظره سواء

وأود أن أضرب مثلا عن نفسى .. لقد أعجبت بأحد الشعراء القدامى وتتبعت سيرته وقرأت له بل وحفظت أغلب أشعاره ، ولقد وجدت نفسى بعد مدة من العيش معه .. أقول الشعر .. وعند ما زرت البلاد التى عاش فيها خيل إلى أنى أعرف الديار وأنى

عشت فى قريته وتجولت فى طرقاتها وعرفت أهلها ومعالمها ..

إنك إن قرأت كتب الأدب وتفهمتها وعشت معها .. لا بد أن تصير أديباً

وإن درست الكيميا .. ومارست تجاربها .. فستكون عالماً كيمائياً .. تلك سنة الحياة

إن صاحبت الأخيار فستكون خيراً .. وإن عشت مع الخالدين فستكون خالداً ..

لقد عشنا مع الحياة فى حاضرنا ورجعنا إلى الماضى فتزودنا بخير ما فيه ، ونظرنا إلى المستقبل المشرق وآفاقه المشرقة وازددنا حركة ومعرفة ، وبالتالى ازددنا حياة .. لم لا تخطو خطوة أخرى نحو الخلود ؟ وهل يوجد هذا الخلود ؟

لقد أثبت العلم الحديث بأن العنصر الفعال فى كل شئ هو الطاقة ، والطاقة وحدها

الجماد ، الإنسان ، النبات ، كل شئ ، النواة هى النواة ، والكهارب هى الكهارب ، لكن هناك طاقة ، الفارق هو الطاقة ، هى التى جعلت الهواء هواء والخشب خشباً والإنسان إنساناً ، ثم هى التى جعلت الذهب ذهباً والفضة فضة والحديد حديداً

التكوين واحد لا يختلف إلا فى الطاقة ، بل الفارق بين الانسان والانسان ، هذا زعيم وهذا غير زعيم ، الطاقة ولا شى غير الطاقة .

كان أناتول فرانس يسير وسط نماذج من الجماجم ، فقيل له عن جمجمة : إن هذه الجمجمة لمجنون ، وعندها أزاح قبعته وقال لهم : إنها مثل جمجمتي تماماً حجما وشكلا

ليس الفارق فى الشكل ، ولا الفارق فى الحجم ، وإنما الفارق فى الطاقة .. والطاقة وحدها

وهذه الطاقة ـ هذا الشئ هو الخالد ـ هو الباقى ـ هو الدائم .. لماذا إذن لا أتشبث بهذه الطاقة .. لماذا لا أحاول اكتسابها .. لماذا لا أندمج فيها .. ان الاجتماع فيه قوة .. جعلت الأديان جميعها صلاتها الرئيسية فى الجماعة .. وما ذلك إلا للشعور بالقوة عند جمع الطاقات المختلفة . والأحزاب الآن فى العصر الحديث تقوم تشكيلاتها على أساس الاجتماعات وتكتل الطاقات

وبرغم الراديو والتليفزيون وإمكان نقل الآراء عن طريقهما فان الدعاية الناجحة أو الفعالة هى التى تحدث فى الاجتماع العام .. فى المكان الواحد .. وما ذلك إلا لجمع الطاقات ، فان اجتماعها يحدث تفاعلا غريباً .. وإذا كان لم يتمكن أحد من معرفة سبب ذلك التفاعل حتى الآن فان مسألة الطاقة قد حلت ذلك وانها بتكتلها وتجمعها تحدث حالة فعالة عجيبة

وأمكن كذلك تفسير موهبة بعض الأشخاص وقدرتهم على السيطرة على الجماهير مثلا ، فان طاقتهم هى التى تفعل ذلك .. الطاقة الجبارة التى تؤثر فى مختلف الناس

وكما أن الذهب ذهب بطاقته ، والفضة فضة بطاقتها ، كذلك الزعيم .. زعيم بطاقته ، والعبقرى .. عبقرى بطاقته

لهذا كان الاجتماع بالكبير فيه فائدة الاستفادة من طاقته .. لم إذن لا أحاول أن أجتمع بأكبر الكبراء .. أنا الكائن الصغير .. الإنسان .. الجزء البسيط جداً من عالم الأرض التى تدور حول نفسها ثم تدور حول الشمس ، وهذه بدورها تدور حول نفسها وتدور حول فلك أكبر ، تسير فى فلك لم يكتشف بعد ولكنها أضخم من الأرض بملايين المرات ولا شك أن الفلك الذى تدور حوله أكبر منها بملايين المرات

لم إذن لا أندمج مع الصانع الأعظم .. مع أكبر كبير .. مع موجد كل هذه السموات والأرضين .. لم لا أرتفع إلى الخلود .. لم لا أنشد هذا الخلود ؟ وما الضرر فى ذلك ؟ ما الذى سيصيبنى .. !! أليست المسألة مسألة حب وعشق واندماج ؟ ! أليس الحب والعشق والاندماج هو سبب عمار الكون ؟ !! أليس حب الطائر لصغيره هو سبب بحثه عن رزقه وتزقيقه .. ؟ أليس حب الطائر لطائرته هو سبب بناء العش الصغير الجميل .. ؟ أليس الحب هو السبب فى تجميل الكون وتعميره والتغلب على الموت وقهره .. ؟ ألم تتحد الفناء ونهزمه بالحب .. لم إذن لا أحب وأعشق وأندمج مع الصانع الأعظم - مع الطاقة الخالدة .. مع هذا العظيم الذى أوجد الأرض والسماء والمجرات وما تجرى

حوله المجرات إلى ما لا نهاية

لقد أثبت الكشف الحديث أن هناك عوالمَ غلافها الجوى يقدر اجتيازه بملايين السنين .. وما وراء هذه العوالم ؟ أو المجرات ؟ أو الأفلاك ؟ وما وراء ما وراءها .. ؟ ! لم لا أتشبث بحب الصانع الأعظم وأحاول أن أصل إلى الخلود عن طريق الفناء فيه . .. ومحاولة تقليده مع الفارق الذى لا يمكن أن يقدر

يجب أن أحب جارى .. وأحب الجنس البشرى الذى أنا واحد منه .. وأن أحاول أن أكتسب طاقة من أصحاب الطاقات . يجب أن أربى الطاقة فى نفسى بخلق الخير لجارى وأبناء جنسى .. يجب أن أزيد الطاقة بالعشق ـ عشق الطبيعة .. عشق الزهر والشجر والطير ، وهى كلها من عشق هذه المجالات وهى من .. عشق الصانع الأعظم

لقد قدم لنا الصانع الأعظم شيئاً كبيراً ويجب أن نقدم للناس ، للبشرية ، للعوالم الكبيرة .. نقدم لها الحب والخير والعشق ونساعد بما أوتينا من طاقة

لن أخلد وحدى .. بمفردى .. إنما أنا أخلد بعالمنا كله ولذلك يجب أن أقدم لهذا العالم كل شئ ويجب أن يكون هناك مظهر لهذا العشق كما ذكرنا ـ مظهر خارجى يتجسد شيئاً من المادة على قدر « طاقتى » .. أن تكون هناك رياضة عملية .. تؤكد الحب .. وتجلى العشق .. وتساعد على الاندماج

— ٥ —

سفينة نوح

لم يكن الانسان بحاجة الى الايمان مثل حاجته اليوم ـ فالايمان الآن ضرورة . . أو هو عنصر من عناصر الحياة نفسها . . . لكى تعيش يجب أن تكون مؤمنا . . هو ألزم من الغذاء والماء والهواء . . ولكى تعيش حياة سعيدة يجب أن تكون مؤمنا أشد الايمان .

لم يعد الايمان ترفاً أو رياضة أو فكرة . . وانما هو عنصر من عناصر الحياة ، بل هو ألزم عناصر الحياة للانسان الآن .

الحرب الباردة كما شاء الإنسان أن يسميها تحكم العالم من شرقه لغربه ، ومن شماله لجنوبه . وهى لاتحكم فقط بل تتحكم فى كل شئون الانسان .

هى فى الراديو والتلفزيون والصحافة وفى الشارع وفى البيت بل وفى حجرة النوم نفسها . . وهذه الحرب الباردة كما يجب أن نسميها يشترك فيها أو يتأثر بها ابنى الصغير ، والبقرة فى الحقل ، والحمامة الراقدة فوق بيضها ، أو بمعنى أقرب وأصدق هى تشملنا وتسيطر على كل هذه المسميات . .

وحرب الابادة كما تؤثر فى الانسان ، تؤثر فى الحيوان ، تؤثر فى النبات ، تؤثر فى الماء ، تؤثر فى الهواء . . أو هى تعمل على تسميم الكائنات جنسا ونوعا جملة وأفراداً . .

ولقد كانت الحرب فيما مضى وقفاً على الجيوش ، وكانت

الاعتبارات المختلفه تجعلها تدور خارج المدن . . وكان بقية الناس يعيشون فى أمن وسلام .

لكنا الآن نعيش كلنا فى حالة حرب . . والضحايا أكثر من أن تعد ، الهواء يحمل الاشعاعات السامة للمقيم فى القطب وللمقيم فى خط الاستواء على حد سواء . . يحملها للاسكيمو فى منزله الجليدى ، ويحملها للمقيم فى العراء فى الصحراء . . ويحملها للمقيم فى الجزيرة المحاطة با لماء .

لقد أوصى الله نوحا أن يصنع الفلك ليلجأ اليه المؤمنون للنجاة من الطوفان . ولقد نجا من تبع نوحا ، وآمن برسالته . وكان الكفار الفجرة من المغرقين .

ولم يعصم الانسان من الطوفان إلا شئ واحد ـ الإيمان . فلا القمم العالية ولا المغارات النائية ولا الساطة الهائلة . . ذلك لم يغن شيئا . . لم يكن هناك سوى الإيمان .

واليوم والظلام يخيم على الانسانية جميعها ، والغبار الذرى يتزايد يوماً بعد يوم بفعل الانسان وبيده . . وأمامنا المثل العملية التى وقعت باليابان ـ ناجازاكى وهورشيما ـ بل وأمامنا المثل العملية من الصيادين الذين لحقهم الغبار الذرى وهم على بعد أميال منه . . بل وهناك أثر الذرة فى نفس من يصنعونها . . بل وهناك النباتات التى خرجت من بطن الارض وهى تحتوى الاشعاع . تحتوى السم القاتل .. السم البطئ الشديد العذاب .. بل هناك الاسماك المحملة

بذات السم نتيجة لانفجار القنابل .. كل ذلك يجعل الانسان عرضة للعذاب والتشويه والمسخ ثم الموت . .

أى فرصة للنجاة ؟ . . أى أمل للخلاص ؟ . . أى بادرة للهروب من هذا المصير التعس المفجع ؟ . .

الإيمان ، ولا شيء غير الايمان . . إن سفينة نوح بانتظار الذين كتب لهم الخلاص والفوز . . .

وان مواكب الايمان كفيلة وحدها بالصمود وهزيمة هذه الشياطين . . إنها وحدها التى تخرج الانسان من الجحيم الى جنات النعيم . . وهى التى سوف تقوده من ظلمات الليل الآثم الى نور الرحمة والامل والسعادة .

وسفينة نوح كبيرة ، هائلة . . يمكنها أن تتسع للبشر كافة . . إذا صح العزم وحسنت النوايا . . وكانت لدينا إرادة الحياة .

إن الذين يكابرون فى الحق وينكرون كل المقدرات هم الذين يكفرون بالطوفان والايمان .. لقد كان الطوفان حقا .. وقد كان الايمان حقا .. والمدنيات الزاهرة التى نرى آثارها فى كل بلد كيف اندثرت ؟ وبادت ؟

لقد كنت أعجب أشد العجب عندما أرى مقابر المصريين القدماء فى وادى الملوك وأرى النقش البارز على الحجر الصلد وأرى الالوان

الزاهية .. كيف نقشت ؟! كيف حفرت ؟! كيف صورت ؟!
ومن أين يأتى النور وسط هذه المغارات التى حفرت فى الصخر ملتوية متعرجة .. !!

لقد كان هناك علم وكانت هناك مدنيات . . . كيف رجع العالم الى الوراء اذن . . ثم بدأ السير من جديد فى سبيل الحياة وسبيل الوجود ـ لاشك أنه الطوفان الذى قضى على كل ذلك ، ولا شك أنه الايمان هو الذى نفخ فى صور الحياة من جديد . . .

إن قنبلة واحدة تفجر فى القطب الشمالى كفيلة بأن تغرق مدننا بأكملها ، كفيلة بأن تعيد الطوفان الى العالم . . فما بالنا بآلاف القنابل الكبيرة بل وملايين الرؤوس التى ركبت فى الصواريخ وفى القنابل الصغيره . .

ليس أمام الانسان ـ ان كان لديه بقية من عقل أو ذرة من ضمير ـ الا أن يؤمن وألا يلعب بالنار وما هو أشد من النار ، وأن يعود الى الله سبحانه وتعالى فيجد أنه قد أكرمه وكرمه وأن ما بيده يكفيه بل اكثر مما يكفيه . فإذا اطرحنا الجشع والحسد والرغبة فى السيطرة وحرمان الغير أمكننا أن نعيش وأن نسير فى طريق النور .

لقد قرأت فيما قرأت أنه يمكن للانسان أن يهرب من التلويث الذرى والغبار السام مستقبلا بالهروب الى القمر ؟ .. وكيف أهرب ؟ ولمَ ألوث الأرض ثم أهرب منها ؟

العلم يقول ألا حياة على القمر ؟ فكيف أهرب من الحياة الى لا حياة ؟ !

أنا فى منزلى المؤثث المريح يأتينى رزقى رغدا وتهب على النسيم الطيبة ، فأعمل على هدمه وتضييع الرزق وسد منافذ الهواء والشمس لأهرب الى منزل غير معروف .. ولكن المؤكد أنه غير صالح للحياة ؟ !

لو كانت المقاييس والقيم عادية لقلنا ان من يقولون بذلك مجانين ..

نهاية عصر المادة

لقد سمى العصر الحاضر بعصر المادة ، أنكر الانسان فيه كل ما لايراه . وقد هزأ بكل المقدرات وضحك من المعجزات .

هل يتصور العقل أن يدخل إنسان بطن الحوت ثم يخرج سليما ؟

هل يمكن أن ينقل « عرش بلقيس » فى لحظات من مكان الى مكان يبعد عنه قرابة الألف ميل ؟

هل يمكن لبشر أن يسرى الى السماء فى ليلة واحدة ثم يعود ؟

ان الانسان العاقل قد أبى عليه عقله أن يصدق هذا وغير هذا ـ لقد أنكره لانه مستحيل التحقيق . . ثم هذا الانسان العاقل ابتدأ هو نفسه يصنع المعجزات .

لقد خرجت أحياء من بطن الحوت ، ولا تزال تدب فيها الحياة .. ! ! !

ويمكن للصاروخ أن ينتقل من أرض بلقيس الى ملك سليمان فى لحظات . ..

وهذا الانسان العاقل يصمم طريق الصعود الى السماء .. فى دقائق .. لا فى ساعات .. وبعض الاقمار ارتفعت فى الفضاء فى لحظات معدودات .

الانسان العاقل المنكر الجاحد ـ المخلوق ـ بوسائله المحدودة أطلق أقمارا تدور حول الارض ولا يستغرق دورانها إلا حوالى الساعة فقط ، وأطلق أقمارا تدور حول الشمس ؟

الانسان المنكر الجاحد العاقل ، فى نفس الوقت الذى أنكر فيه المعجزات يمكنه أن يأتى هو بنفسه بمثل هذه المعجزات ، ومع ذلك فهو ينكر حدوث هذه المعجزات .

الانسان العاقل .. الواعى .. العالم . . يقول إنه يمكنه هو أن يصنع الطوفان .. وأن يهلك العالم .. ثم هو ينكر الطوفان . . لانه لم يصنعه بيديه . . هو يعرف من الآثار أنه كانت هناك حضارات زاهرة وعلوم وفنون ومدنيات ، ثم اندثرت وابتدأ العالم من جديد .. ومع ذلك لا طوفان .. الانسان يمكنه أن يغرق نفسه ، ومع ذلك لاطوفان !

الانسان العاقل ـ اذا رأى شيئا جميلا صاح من فوره . ياله من شىء جميل .. ثم يبارك من صنعه ! قد يقبل منك جهلك بالصانع أو ببلده . ولكن أيمكن أن يقبل منك قولك .. إن هذا القلم خلق نفسه ! ! أو صنع نفسه . . إن قلت له هذا أو شيئا قريبا من هذا اعتبرك فاقد العقل ..

ولكنه عندما يقول هو : إن هذا العالم بأجمعه لا يوجد من يصنعه أو هذه العوالم التى نكون نحن جزءا بسيطا منها ليس لها صانع ،

يكون فى تمام عقله !

ليس الامر أمر منطق أو أمر مادة .. الحقائق المادية والعلم والمنطق لا يوجد شىء دون أن يكون له من صنعه وكوّنه . فكيف وجدت هذه العوالم الكبيرة الواسعة ؟ وهذا التدبير الكبير الهائل الذى يجرى على سنن وقواعد وضوابط لا تخطىء الحساب أو الميعاد . كيف ؟ من لاشىء ؟ كل هذا وجد عبثا ؟ دون أن يوجد من يصنعه ؟ كيف يصح ذلك فى فهم أى عاقل ؟

عندما أطلق القمر الصناعى الذى ظل يسبح فى السماء بضعة أسابيع مجدنا صانعه وآمنا به .. كيف لا نمجد من صنع القمر الطبيعى ؟ كيف لا نمجد خالق من صنع القمر الصناعى ؟ كيف لا نؤمن ولا نمجد من صنع هذا العالم كله ؟

- ٧ -

التمثال العاقل

ان القلم الذى أكتب به الآن لاشك أن له صانعا .. ولست فى حاجة الى أن أرى صانعه حتى أعلم ذلك .. كذلك لسنا فى حاجة الى أن نرى الله حتى نؤمن به . ولـكنا نرى آثاره .. وهذه الآثار مادية ـ محسوسة ـ تلمسها اليد ـ وتراها العين ـ وتسمعها الأذن . . كل هذا دليل وجود صانع ـ خالق ـ إرادة سامية ـ عالية أوجدت كل هذه الأشياء .

يأتى سؤال : هل يلزم تصور هذه الارادة حتى نؤمن بها . . ؟ هل من الواجب أن أعرف شكل صانع القلم حتى أؤمن بوجوده ، مع الفارق الـكبير فى التشبيه ؟

لا ـ لايلزم ذلك . يكفى تصور وجوده .. إحساس وجوده .. ضرورة وجوده .. لأؤمن بهذا الوجود ..

لأن الفارق بين الخالق والمخلوق كبير ، كما أن الفارق بين الصانع والمصنوع كبير أيضا .. فمثلا ـ المثال عندما يصنع تمثاله .. هل يمـكن أن يوجد تقارب بين المثال والتمثال .. ليس هذا فقط ، بل ويكون مستحيلا عمل مقياس للفارق بينهما .. مع الفارق الهائل فى التشبيه ايضا ..

وهل يمكن لهذا التمثال الخالى من العقل المعدوم من الحركة المفقود الإراده ـ ان يدانى هذا المثال العاقل المتحرك صاحب

الارادة ـ أن يتصور صانعه ـ وأن يعلم الحكمة التى من أجلها صنعه

فنحن على مافى المثل من فارق هائل ـ قد نكون فى المحيط الأعلى خلوا من العقل الآخر .. معدومى الحركة .. فاقدى الارادة بالنسبة للخالق جل وعلا .

أما الحركة التى نراها والعقل والارادة التى تظهر لنا أو نمارسها ، فهى نوع من الحركة والإرادة والعقل ، ولكنها ليست هى أو هى من نوع آخر من أنواع الحركة والعقل والارادة ..

ويمكن أن نقول إن التمثال ليس خلوا من الحركة أو العقل أو الارادة فالعلم الحديث والذى بدأ بالسير بوز العالم الهندى وانتهى حتى الآن الى الذرة يقول بأنه حتى الجماد مشحون بالحركة الدائمة وأن الذرة والنواة تجمعها طاقة تختلف باختلاف الاشياء .

فكل شىء فى العالم يتحرك ـ حتى الجماد ـ وكل شىء له إرادة وعقل أو طاقة .. سمها كيفما تشاء .. وأن كل شىء يتحدد باختلاف هذه الحركة والطاقة أو العقل أو الإرادة .

فهنا فى التمثال نجد قطعا نوعا من الحركة والطاقة أو الارادة أو العقل ، ولكنه لا يمكن أن يكون أو يرتفع الى حركة وارادة وعقل صانع التمثال .

وفى هذا المثل بالذات يجب أن نعرف أن صانع التمثال قد استعان بأشياء من صنع الصانع الاعظم ، كل ما فعله هو تشكيل بعض المخلوقات التى أوجدها الله ـ الصانع الاعظم ـ على ظهر البسيطة

ان البساطة فى هذا المثال واضحة ، والحقيقة فيه أكبر من أن تناقش ، وهى تلقى أضواء على وجود أنواع من الحركة والإرادة والعقل .. ويمكن فوق ذلك أن نقارن أنواع الحركة الواحدة والحركات المختلفة فى الجماد مثلا ، وفى الحيوان مثل الدجاجة ، وفى الهواء وحركة الضوء .

يمكن مقارنة أنواع العقل فى كل منها أيضا ، بل وتفاوت أنواع العقل بين أنواع الجنس الواحد .. بين القرود مثلا .. فبعضها يصل الى درجة كبيرة من العقل أو الفهم يمكن إلحاقه ببعض الآدميين وبعضها فقير الى درجة لا تكاد تتصور بحيث يمكن إلحاقه بالحيوانات الدنيا .. وهكذا تتفاوت درجة الإرادة أو الطاقة أيضا تفاوتا كبيرا ، بل هى تتفاوت بين الانسان وأخيه والتوأم وتوأمه .

فاذا كان هناك نوع من العقل أو الإرادة لا يمكننا تصوره ، ولكن يمكننا تصور وجوده قطعا ، نتيجة لوجود هذه المخلوقات ، فإننا - أصحاب العقل - من النوع الخاص - يكون إلغاء لعقلنا هذا أن تنكر هذا الوجود المتصور الثابت .. مع وجود الاختلافات فى أنواع الحركة والعقل والإرادة .

لقد ابتكر الانسان عقلا اليا أو صنعه ، وهذا العقل الآلى فى إمكانه الآن حل المسائل الحسابية وإعطاء البيانات المختلفة والإجابة على الاسئلة فى شتى العلوم والفنون .. أيمكن لهذا العقل والثابت أن له طاقة أن يشمخ بازراره وكهربته وطاقته فينكر على العالم الذى

أوجده وأوجد عقله وقدرته ؟

وإذا كان هذا العقل الآلى لا يمكنه فى عالمه وحسب تكوينه أن يعرف طاقة هذا الصانع اوكنهه .. لان طاقته الموجهة أو المحدوده تجعله صالحا لشئ بالذات هو المقصود من وجوده .

ومحاولة أن يكتسب معرفة تزيد عن طاقته أو تخرج عن جوه وعالمه وحدوده مآلها بلاشك الى العدم .

— ٨ —

المجـــال

فنحن « المخلوقات » فى عالمنـا الـكبير جـدا بالنسبة لوجودنا وكياننا والفسيح جدا بالنسبة لنظرتنا، يمكننا أن نفهم بالنسبة لهذا العالم مانشاء .. هكذا كنا وكان هذا العالم أوهذا المجال بالنسبة لنا ..

ولـكننا خارج هذا المجال وهذا العالم لا يمكن أن يكون لعقلنا وزن بالمعنى المعروف . بل ان عوالمنا نفسها أو مجالنا المحدود ـ قد يتأثر بمؤثر آخر مثل وجودنا فى الفضاء خارج نطاق الجاذبية الأرضية . هناك لا يكون لنا وزن على الاطلاق .. وهذه مسألة علمية ليست تخمينية بل يقينية معروفة .

ولذلك يصح علميا فى الأفهام أن يكون هنالك مخلوقات أخرى (ملائكة مثلا) لاوزن لها أو شفافة أو تنتقل بسرعة ـ لا يمـكننا تصورها ـ لأنى أنا الانسان اذا خرجت من نطاق الجاذبية لم يعد لى وزن وكان انتقالى بسرعة لا يمكن أن أتصورها

يأتى سؤال : ألم يتحدَّ الانسان عالمه وحاول الخروج منه ثم هو فى سبيله الى الوصول الى القمر والـكواكب والعوالم الأخرى ؟

وهذا الكلام يرضى غرور الإنسان من حيث كونه انساناً ويشبع فيه غريزة حب المديح والثناء .

فكما يمكن أن يكون هذا الكلام صحيحا الى حدما يمكن أن يكون دليلا على عجز الانسان : فقد يكون المجال أو عالمنا أو هو بالفعل هو هذه المجموعات الكثيره من الكواكب وكان المفروض أن نعمر كل هذه السماوات والأراضى والنجوم ولكنه بعجزنا وقصورنا وانشغالنا بمحاربة بعضنا البعض قد تحولنا الى وجهة أخرى ولم نبدأ الا الآن فقط فى محاولة الوصول الى بعض هذه الكواكب وعلى أضيق نطاق ، بل وبدأناها بغرض الفوز فى الحرب .

لقد اخترع الانسان الصاروخ لا لأغراض علمية ولكن لأغراض حربية ، ثم استعملت على الهامش - ظاهرا - لغرض علمى

فقد يكون اطلاق الأقمار الصناعية لا دليل الفوز والفخر - بالنسبه للعالم الانسانى كله ، فلسنا نتكلم عن دولة أو عدة دول - قد يكون إطلاق الأقمار دليل العجز أو هو شبه رجل بلغ العشرين ولايزال يحبو ، فلما ابتدأ يخطو أول خطوة ملأ الأرض ضجة فى أنه أتى بالمعجزات .

كان يجب أن يمشى هذا الأنسان فى سن السنة أو ما يقاربها ،

ولكنه ابتدأ يخطو ويتعثر فى سن العشرين ومع ذلك يتيه على نفسه بالعظمة والفخر .

قد لا يساوى هذا العالم بالنسبه للخالق أو الصانع الأعظم شيئا كثيرا ، وقد لا يكون له فى حساب زمنه هو قدر كبير .. فبعض المخلوقات ـ من غير الانسان ـ قد يعيش حياة كاملة لبضع لحظات هى عندها العمر كله ـ وبعضها يعيش أياما فقط والبعض يمتد به العمر لشهور وبعضها يعمر لأجيال . .

وفى أبحاث الفضاء الخارجى نجد أن الزمن هو الآخر يمتد حسب قياسنا ـ فالسرعة هناك والوقت والجاذبية والوزن كلها تخرج عن المقياس المعروف ، وهذا كله يبين لنا أنه يمكن أن يكون كل هذا العلم الثابت عندنا مآله عدم الثبات فى عالمنا أو فى العوالم الأخرى التى فى متناول يدنا أو فى العوالم البعيدة التى تعتبر خارج نطاق عالمنا وحدودنا وطاقتنا .

وكل هذه الاحتمالات ، والممكنات ولو أنها لاتلقى ثباتا على الزمن والوزن والسرعة والمكان ، إلا أن الثابت والحقيقى والمتيقن والذى لا سبيل الى نكرانه وجحوده هو عدم امكان وجود شئ بلا صانع .

هذه هى القضية التى لا سبيل الى نقضها ، وهذا هو الشئ الوحيد الذى لا يصح أن يضاف اليه أى « يمكن » أو احتمال بل على العكس

كل هذه « اليمكنات » أو الاحتمالات سبيل صحيح الى اثبات هذه الحقيقة الخالدة .

او يمكننا أن نقول إن دليل وجود الشمس هو الشمس ذاتها ، ودليل وجود الأزهار هى الأزهار نفسها ، ودليل وجود الانسان هو الانسان . لكن دليل وجود الله هو وجود هذه الموجودات جميعها .

— ٩ —

آدم وحواء

ثبت اذن بما لا يدع مجالا للشك أنه يمكن أن يصير وزنى لاشئ في الفضاء خارج نطاق الجاذبية الأرضية وأن الخطوة الواحدة هناك يمكن أن تكون ميلا أو أكثر من ميل . . فإذا أمكننى أن أخرج من نطاق الجاذبية وأنا على ظهر الأرض أمكن أن يخف وزنى وأن أتحرك بهذه السرعة الهائلة الغريبة . وقد تكون مسألة التخلص من نطاق الجاذبيه بسيطة غاية البساطة ـ كما ثبت أن أغلب المخترعات الكبيرة أساسها بسيطا غاية البساطة . . وقد يكون بعض العارفين قد وصل الى التخلص من هذا النطاق فى وقت من الأوقات . . وقد نصل اليه فى وقت أقرب مما نظن فتتغير كافة الموازين . .

قلنا إن هذا العالم الكبير كله يكاد يخلو من المادة أو هو خلو منها . والشئ الثابت الثابت الخالد الخالد الباقى الباقى ، هو الطاقه . : لكن الله يشاء لكى نرى ولكى نحس أن تتشكل أو تتجسد المادة ، أيمكن أن نجد مكانا فى كتب العلم للقصة الدينية من أن آدم وحواء كانا يعيشان فى ملكوت واسع ، ثم لما سولت لها نفسهما أكل الحنطة تجسدا وتشكلا تشكلا مادياً ، وهذه الطاقة الشفافة التى كانت تجوب السماوات وتسبح فى ملكوت الله وتشف عن الرؤية اتخذت لها

إطارا ماديا ، فبدأ آدم وحواء يريان نفسيهما ويريان ماسمى بالسوأة وغير السوأة ، وارتبطا بالأرض ذات الجاذبية منذ ثقل جسماهما وربطا مصيرهما ومصير الملايين من أبنائهما بهذا الكوكب الأرضى ذى الجاذبية والثقل .

فما دمنا على الأرض ذات الجاذبية والثقل ، ومادمنا تشكلنا بالجنس الذى يبدو ماديا ، فلا مجال لأن نقول للناس اتركوا المادة - المادة موجودة فى نظرى .. صحيح أن الطاقة هى كل شىء ولكنى لم أعد شخصا شفافا منطلقا ، وإنما ربطت نفسى بهذه الأرض فليكن إيمان نفسى له مظهر مادى خارجى ..

أيمكن الآن لرجال العلم أن يجدوا الشجاعة الكافية ليسطروا فى صميم الكتب العلمية القصص الدينى على أنه حقيقة علمية من آدم وحواء - والملائكة - والطوفان - وعرش بلقيس وغيرها وغيرها وقد أصبحت حقائق علمية الآن ؟

إن رجال العلم سوف يتخاون عن رسالتهم إن لم يبادروا إلى اثبات ذلك والى تدوين المعجزات الدينية فى صدر الكتب العلمية على أنها حقائق ثبتت صحتها بمقياس العلم الصحيح .

وإذا كانت العصور سميت قبل ذلك بأسماء عرفت بها فوجدنا العصر الحجرى والعصور الوسطى وعصر المادة ، فان واجبنا أن نسمى عصرنا الحاضر « بعصر الايمان »

— ١٠ —

عصر الايمان
أقوى من الذرّة

علمنا إذن أن أساس الحياة الآن هو الايمان . . .. لـكى تعيش يجب أن تؤمن ، يجب أن تؤمن بنفسك ـ بأخيك ـ بوطنك ـ بعالمك . ويجب قبل هذا كله أن تؤمن بالصانع الأعظم .. الذى أوجدك وأوجد أخاك .. ووطنك وعالمك . ويجب أن تعلم أن الحب عنصر من عناصر الايمان ـ يجب أن أحب نفسى واحب أخى وأحب وطنى وأحب عالمى واحب قبل ذلك موجد كل هذا ـ خالق هذا الملـكوت

إن هذا الملك الواسع يكفينى ويكفى أخى فى البشرية ، فلم لا أحبه ـ والحب هو الذى يبنى ويشيد ويعمر : والحقد والضغينة والـكره لا يسبب إلا التدمير والخراب والبتر .

إننا بالايمان والحب نصبح فى غنى عن الذرة . . لسنا بحاجة بعد الإيمان والحب لسلاح التدمير والخراب ـ إننا نصبح أقوى من الذرّة ـ لأننا فى هذه الحالة سنستعبدها . . ونصير أسيادها . . سنسخرها للخير ـ للبناء . . للانتاج .. للسعادة ، لانكون فى حاجة الى مدفع أوالى قنبلة ـ أو لغم ـ سنكون فى حاجة الى مزيد من الأزهار والرياحين ، الى مساحات أوسع من البساتين والحدائق . فالعالم واسع واسع ـ

وخيره وفير وفير يكفيني ويكفي أخي ويكفي وطني ويكفي العالم ، وآفاق المعرفة لزيادة الانتاج أصبحت أكثر من أن تحصى . .

أنا أقوى من الذرة . . وأنت أقوى من الذرة بالايمان والحب والبناء

والايمان والحب يزيدان من طاقتنا ويجعلان من الخامل نابها ، ومن المتخلف متقدما . ولأضرب مثلا بسيطا [1] :

لقد دخلت ابنتي مرحلة التعليم الابتدائي ، وكانت تحب المدرسة حبا جما . كانت مثلا أعلى في روضة الاطفال .

وكانت تستعجل الأيام لتدخل مدرستها الجديدة .

لقد زرتها في المدرسة ، وحرصت أن أراها في حجرة الدرس ، ففرحت بها ، وزاد من فرحي أنها تجلس وحدها ، فلن تكون بجوارها زميلة لها لتتحدث معها وتشغلها عن الدرس والتحصيل .

اى حظ حسن هذا .. كل بنات فصلها يجلس كل اثنتين منهن على تختة واحدة ، أما ابنتي فتجلس وحدها . . ان حظها لا يمكن ان يقارن

وانتظرت تفوقها .. فأذا بها تنزل عن مستواها وتتأخر ، واذا بالتقارير المدرسية تتوالى طالبة أن نبذل لها المساعدة المنزلية وعبثا بذلنا لها المعونة - فهى كل يوم الى الوراء ..

وكان لابد من ان نستشير الاطباء فلعلها مريضة ..

---

(١) من كتاب مبادئ المبادئ

واذا بالأطباء لايجدون بها اى شئ يبرر هذا الهبوط الذهنى وتلك البلادة العقلية .. ونسلم أمرنا لله .. فقد كدنا نيأس .

وفى يوم من الأيام دخلت علىَّ ابنتى فرحة مستبشرة ، هى تكلمنى وقد غيرت لهجتها فهى تطيل فى حروف المد ، وهى تضغط حرف التاء ضغطا شديدا ، وهى تجلس وحدها لتستذكر الدروس .

وهى تتقدم من تلقاء نفسها وتعود الى سابق عهدها من النشاط والذكاء .. والنقط السوداء التى كانت تأتى فى تقاريرها قد صارت بيضاء من غير سوء .

ياللعجب .. .. ! حمدت الله .. وفى يوم من الايام زرت ابنتى فى الفصل فوجدت أنها تجلس بجوار زميلة لها .. .. وان هذه الزميلة تطيل فى حروف المد وتضغط حرف التاء فى نطقها .

إذن .. .. فتأخر ابنتى كان راجعا للوحدة .

وتقدمها الآن راجع للحب والزمالة .. ..

وهى يوم أن كلمتنى وكانت نفسها تائهة قد تأثرت تأثرا شديدا بزميلتها فأخذت تحاكيها فى النطق لتملأ ذلك الفراغ الخالى .

وإذن فالحب والزمالة والصداقة ضرورية لنا لنعيش حياة أفضل ولنحيا سعداء يملؤنا الإشراق .

وإذن كنت مخطئا أشد الخطأ عندما فرحت لأنها كانت تجلس وحدها ، وعندما كانت المدرسة تتفاءل بذلك . فخير لها أن تجلس

مع زميلتها وتشغلها عن الدرس عن أن تأكل الوحدة صدرها فتذهب بعقلها وذكائها .. ..

وهكذا نحن فى حاجة الى صداقة والى زمالة والى حب والى تعاون ، لنعيش ولنحس بوجودنا ـ فأحساسنا بوجودنا مرتبط أشد الارتباط بأحساسنا بوجود الغير ـ وليس هذا فقط فى علاقتنا كأفراد بل كمجموعات أيضا وكأمم ، فلن يكون هناك عالم انسانى اذا كانت تعيش فيه كل أمة بعيدة عن غيرها أو غير متعاونه معها ، ولن يكون هناك عالم جدير بالسعادة إذا كانت كل أمة تتربص بغيرها وتنزل بها الضر فى كل آونه .. .

ما أضيق العالم الفسيح اذا كنت أعيش داخل بلدى فقط . . . وما أقتم الأفق المشرق اذا كنت لا أرى سوى بلد واحد . . . وما أتعس الانسان الذى لا يسمع إلا ببعض أذن ، ولا يرى إلا بجزء من عين ، ولا يحس إلا بأطراف الأنامل فحسب .

أننا نسلب أنفسنا النعم التى أفاءها الله علينا إن نحن قصرنا فى حق غيرنا . فلنفتح آفاق الحب والمعرفة والحياة أمام اخواننا لتنفتح لنا الأبواب .. ولنزيد حظنا من السعادة باسعاد الناس .

أو لست أحس بالسعادة ان كان ابنى سعيدا . . او لست ازداد شعورا بالسعادة إن زدت فى سعادته . او لست أحس بالسعادة ان كان أخى سعيدا . . اذن فلآخذ بأكبر نصيب من السعادة باسعاد ابنى وشقيقى وجارى وابن وطنى وأخى فى الانسانية . . .

زيدوا فى تداول السعادة فى العالم ليزداد نصيبكم منها كما يزداد نصيب الفرد من النقد بزيادة تداوله . . وكما يزداد نصيبه من الخير بزيادة انتاجه .

هذا ورصيدك من السعادة ـ اذا سادت شركة السعادة العالم ـ لايخشى عليه من الهبوط ، وهو ليس فى حاجة الى مجهود خاص ومهارة خاصة للتنمية ـ وهو يزكو ويزداد ويتكاثر من تلقاء نفسه . تجارة الحب العالمى تجارة رابحه لاخسارة فيها ، وهى شركة ضخمة هائله ، بل هى أكبر شركة فى الدنيا ليست فى حاجة الى اجراءات وشكليات .

وشركتنا مع العالم قائمة لا يمكن أن تنفصم ، فإما أن تصير شركة للسعادة والتعمير والبناء والعمل المنتج ، وإما أن تصبح شركة غرضها الاعتداء والتخريب والتدمير . والفرق أن الاولى تسعدنا أفراداً وجماعات وحكومات ، والثانية تنزل بنا الخيبة والفشل . .

ذلك مثال بسيط مما يفعل الحب البسيط العادى ، فما بالنا بما يمكن أن يفعله العشق والاندماج ، لافى صديق فقط ولا فى عالمى فقط ، ولكن فى الصانع الأعظم مصدر الخير والإيمان ، وما هو أقوى من الحب والإيمان .

— ١١ —

الطاقة

لقد قامت فلسفة القرن الماضى كلها على المادة .. وعلى انكار كل شىء إلا المادة ..

قالوا : إن المادة لاتفنى

وقالوا : انها لاتستحدث

أنكروا كل ماعداها .. وكفروا بكل شىء فلم يعبدوا سواها .

وانتهزوا فرصة انحراف بعض رجال الدين فى اوروبا ، وتتبعوهم فى سلوكهم غير الحميد وقاموا بحملة لانتزاع كل المقدرات ، وإقامة العلاقات بين الناس على المادة وحدها .. فلا تعاطف ولا رحمة ولا أخلاق ولا إيمان .

صحيح أن سلوك بعض رجال الدين فى أوروبا كان معيباً جداً ، وقام البعض منهم باقتراف المنكرات وعبادة الشهوات والماديات ، ولكن الأمر ليس أمر رجال الدين .. الأمر أمر العلاقات بين الناس والله ، وجعل الحياة فى هذه الدنيا متلائمة مع طبيعة الخلق وايجاد صلات تقوم على المحبة والاخاء والرحمة ، لا على المادة وحدها ، وان كان توفير المادة واجبا لكن الانحراف هو بنيان عالم مترامى الاطراف على أساس واحد وقياس كل

مقدراتنا بالقياس المادى وحده

والفلسفة قامت على أساس علمى كما سموها . . . وهذا العلم قد هوى وانهار من أساسه . . .

ثبت أن المادة يمكن أن تتحول إلى طاقة وأن الطاقة يمكن أن تتجسد المادة . . .

وأن المادة إذا تحولت إلى طاقة ضاع وزنها . . . أو خفت أو تحررت من سيطرة الجاذبية الأرضية عليها . . وأن الطاقة هى كل شىء . ولا يمكن أن تقاس المادة بالطاقة المستحدثة منها لأن الطاقة فى هذه الحالة تحسب لا بقوة الدفع ، ولا بقوة الحرارة ، ولا بالضغط ، وإنما تخضع لحساب من نوع آخر « سرعة النور »

إن الطاقة الناتجة من المادة تساوى كتلتها مضروبة فى مربع سرعة النور فى الثانية بالسنتيمترات ، وسرعة النور تقدر بـ ١٨٥٠٠٠ ميل فى الثانية ، فإذا فرضنا وتحول جرام واحد من المادة إلى طاقة فان هذا الجرام الواحد يصير طاقة على النحو الآتى :

١ جرام × مربع سرعة الضوء فى الثانية بالسنتميترات
أى ١ × ٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠
أى ١ × تسعمائة مليون مليون مليون

فليعرف العالم إذن أن النور له علاقة بالطاقة ، وأن سرعة هذا النور مضروبة بنفسها ـ هى التى تصل اليها الطاقة عندما تستحدث من المادة ، أو عندما تتحرر من المادة ، وأن هذه الطاقة يخف وزنها

وتتحرر من قيود الجاذبية الأرضية . . .

أنت الانسان ـ تصور أنه يمكنك بالايمان ـ أن تستغل الطاقة التي في جسمك للخير والحب والإنسانية ، والله سبحانه وتعالى نور السماوات والأرض .

وتصور أنه ـ إن أمكنك أن تتحول إلى طاقة فستتحرر من قيود الجاذبية الأرضية . . إذن يمكنك أن تصدق قصص الواصلين الذين يمكنهم أن ينتقلوا من أقصى المعمورة الى أقصاها في دقائق .

وأن الطاقة تسبح مع النور ، وهذا طبيعي لأنها تحسب على أساس سرعة النور . . .

وقد تناولنا الحديث عن قوى التجمع أو جمع الطاقات ، وأن الاجتماعات . . . يحدث منها تفاعل للطاقات . . ونفس الشئ يحدث في الذرة . . . العلم أثبت أن الطاقة الرابطة لواحدة من الكهارب تعد مثلا ١ صحيح . ولكن هذه الكهارب إذا زادت الى ٩٠ فإن طاقة الربط لاتكون ٩٠ وانما تزداد الطاقة الى ما يقرب من ٨٠٠

فكأن التكتل أو الاتحاد أو الاجتماع فيه رفع من شأن الطاقات ، [1] ولهذا كان الاصل في الصلاة في الأديان كلها في الجماعة . . .

---

(١) طاقة الربط في النواة للايدروجينية الثقيل ايد ٢ ٢,٢٢ مليون ألكترون فولت

طاقة الربط في النواة للثوريوم ٩٠ ١٧٦٨ مليون ألكترون فولت

إننا الآن فى أول الطريق بالنسبة للكشف العلمى عن الذرة . . لقد أسرعنا فى استخدامها للتدمير والتخريب والفناء بالجملة . . . ثم فكرنا فى أنها قد تستخدم للخير ، ولكننا لم نفكر إطلاقا فى تدبر الخلق على ضوء ما كشفه البحث العلمى ـ لم نفكر فى القدرة الجبارة التى خلقت الذرة وماهو أكبر من الذرة . . إن العلماء الذين وصلوا إلى أن الطاقة تحسب على أساس سرعة النور لم يقفوا قليلا ليتدبروا السر وراء هذا . . . وما علاقة النور بالطاقة والمادة . . . والعلماء الذين قدسوا المادة التى لاتفنى لم يقفوا قليلا ليتدبروا أن المادة يمكن أن تتحول الى طاقة ، أو لم يتدبروا أن الطاقة كامنة فى كل ذره ، وإذا كان الشاعر الفارسى المسلم جلال الدين الرومى قال منذ حوالى ألف سنة :

وكل من فى روحه قلب بصير فى كل ذرة يرى شمسا تنير

فقد ثبت صدق هذا الكلام الذى وصل اليه عن طريق وجدانه وبصيرته .

واذا كان العلماء قد نسوا ذلك كله ، فان واحدا منهم فقط هو فون براون مخترع الصاروخ أو صانع الصاروخ قد قال : إنى كلما زدت علماً وكلما كشفت آفاقا جديدة ازددت إيمانا بوجود قدرة خالقه مهيمنة على الكون ، وازددت علما بأن العلم الذى أوتيته لا يعد شيئا . .

إذا كان هذا الرجل قد قال ذلك ، وإذا كان العلماء ينتظرون أى حديث منه ليقدسوه كما قدسوه هو شخصيا عندما صنع آلة التدمير الصاروخ ، فانهم مروا على كلامه هذا مر الكرام ، وكان الأولى بالعلماء أن يحاولوا صنع سفن النجاة وأن يعلمونا صنع سفينة نوح أو يجعلوا من إيمان العالم سفنا تعصم من الدمار . لكنهم لا يزالون يلعبون بالنار ، وما هو أكبر من النار ، وسيأتى اليوم - إن لم يعصم العالم الايمان - سيجدون أنهم قد استوفوا آلات الطوفان ، وأن الطوفان قد أصبح حقيقة واقعة ، وأنهم سيكونون أول المغرقين ﴿ فلا عاصم وقتئذ من أمر الله إلا من رحم ﴾

ولن يعصمهم وقتئذ لا جاه ولا سلطان ولا علم استخدموه فى سبيل التدمير .

— ١٢ —

الايمان

لم تغب شمس الإيمان عن البشرية إطلاقا ولن تغيب مادامت البشرية والانسانية .. فالإيمان كما قلنا عنصر من عناصر الحياة ، بل هو ألزم للحياة من الهواء والماء والغذاء .

ولقد وصل الانسان للايمان فى أيامه الأولى بفطرته ووجدانه وشعوره ، وهو قد وصل الى أثمن ما وصل اليه فى أيامه الأولى أيضا بهذه الفطرة وهذا الوجدان وذلك الشعور .

إن غريزة الايمان أو فطرة الايمان أو الحاجة للايمان كانت مع الانسان الأول ، وهى التى مكنته من الحياة فى وسط الطبيعة العاصفة القاسية .. ولو لم يتزود الانسان الأول بزاد الايمان الذى وهبه قوة وصلابة ومناعة ، لاحتوته عناصر الطبيعة ، وطغت عليه وهصرته . لكنه صارع هذه القوة وغيرها وساد عليها بفضل إيمانه وصبره ـ لقد عرف الخير والشر ، النافع والضار ، السالم وغير السالم ، بفطرته وغريزته ووجدانه وشعوره . . وان المعلومات التى اكتسبها هى التى تقوده الآن فى سبيل الحياة . ومجموعة المعارف الأولى تفوق بمراحل بنسبة زمنها ماضمته الينا المدنية على مر آلاف السنين .

لهذا كان الشعور والوجدان والفطرة أثمن ماوهب الانسان ، ومن سبيلها عرف طريقه الصحيح .. وكل انحراف يحدث فى غيبة هذه العناصر الأساسية أو فى فترة يحاول الانسان اهمالها فيها

فقد وصل الانسان نفسه ومن طريق هذه الفطرة والشعور والوجدان لحقائق الحياة من قبل أن يعرف البحث العلمى وطريقه .

ولقد عملت تجارب على نفسى للوصول إلى بعض الحقائق ـ فاستخدمت الشعور والوجدان والفن والفطرة ، ودونت ما وصلت اليه ، ثم استخدمت طريق البحث العلمى .. فوجدت أنى وصلت من الطريق الأول لأغلب الحقائق التى وصلت بها عن طريق البحث العلمى والتجربة ، وهكذا وصلت الانسانية للايمان من طريق الفطرة والشعور والوجدان والفن . . وها هى بعد الاختراعات الجديدة تصل الى هذه الحقائق من طريق العلم ، وكلاهما طريق صحيح للوصول الى الحقائق ، وان كان الطريق الأول هو الطريق الأحكم .. الطريق الاسلم .. الطريق الذى لا تعتوره عوامل خارجية تؤثر فيه . .

وهذه السحابات القليلة التى تعترض طريق هـــذه الشمس لا تلبث أن تنقشع أمام ضمير الانسانية ، وضرورة بقائها سليمة نقية .. والناس الآن عندما يتكلمون عن الايمان وضعف بعض البشر .. أو إنكارهم له لا يجب أن يهولهم ذلك ابداً .

فإذا رجعنا إلى أيام الانسانية الاولى وجدنا الجاحدين

المنكرين ، ووجدنا الإشفاق من تفشى الالحاد والنكران والجحود . .

لقد كنت أقرأ كتاب مباهج الفلسفة ، ووجدت أنه فى عصر أرسطاطاليس كان الناس يترحمون على عهد الايمان وخلو صدور الناس منه فى أيامهم وخشيتهم من المستقبل . . ولكن تعاقبت على الانسانية عصور . . رجع فيها الايمـــان أشد مما كان ، وقضت الانسانية على خصومها ، وانتصرت البشرية وانتصرت قوى الحب والتعمير والسلام . وسوف تنتصر الانسانية دائما وسوف ترفع البشرية علم الإيمان عاليا رفافا سواء عن طريق الفن والوجدان والشعور والفطرة ، أو من طريق البحث العلمى الخالص ، أو من الطريقين معا .

فالانسانية ايمان ، وبقاء الايمان شرط أساسى لبقاء البشر .

— ١٣ —

النماء

ومسألة الايمان لا يمكن أن تقف عند حد التفكير والإطراق فحسب ، وانما يجب أن تتعدى ذلك الى حد الممارسة .. ممارسة الإيمان والأخذ بأسبابه ورفع راياته والوصول بأمره الى حد أن يكون عادة . وفى رأيي أنه يجب أن يكون للايمان مصادر ومظاهر . فمصدره حب الله والفناء فيه واستجلاب رضاه .. ومظهره حب الناس والفناء فيهم واستجلاب رضاهم .

وكما أن كل شأن من شئون الحياة يتطلب العمل فيجب أن نعمل للايمان ولتثبيت دعائمه ـ لدينا ولدى الغير .

الرياضى الذى يلعب الكرة أو غير الكرة يجب عليه أن يكون مستعدا وهو يقوم بتمريناته دائما حتى يكون عند ما هيأ نفسه له .. فإن هو لم يقم بالتمرينات والمواظبة عليها .. نقصت كفايته واستعداده

والمؤمن يجب أن يأخذ نفسه بالتدريب المستمر والممارسة حتى يثبت ايمانه ويكون عند حسن ظن الناس به .

وقس على ذلك كل شىء .. الطبيب يجب أن يحافظ على علمه بدوام التمرين والقراءة والممارسة ..

وليس أحب عند الله والناس معاً من المظهر العملي الصادق .

لقد آمنت بالله وآمنت بنعمته علي .. وعليه يجب أن أظهر هذه النعمة وأن أدعو الناس الى مشاركتي فيها فى الحدود التي تجعله يحس بهذه النعمة ، ويؤمن بالله والناس معاً ، وبفضل الله والناس معاً .

إن مظهر حب الأم لابنها هو رعايتها له .. ضمه الى صدرها .. تقديم ما تملكه له .. والاب والأم عند ما يقدمان شيئا لابنهما لا يقدمانه باعتباره صدقة أو احسانا ، بل على أنه حق وواجب .

كذلك ما يقدم الى أخيك يجب أن تعرف أنه ليس بصدقة أو احسان أو تبرع ، وانما هو الحق والواجب والشرع .

ـ الزكاة ـ ركن من أركان الايمان .

أو بمعنى آخر لقد قال العلماء إنه يكاد يكون مؤكدا انتهاء عهد المادة وبداية عهد « الطاقة » ، الشئ المؤكد الموجود « الطاقة » ، أما هذه الماديات الاخشاب والحديد واللحم والعظم ماهي الا مظهر من مظاهر « تجسد الطاقة » أو إظهار الطاقة .

فالعالم كله .. الشيء الاساسي فيه .. والثابت فيه والفعال فيه هو الطاقة .. والمظهر المادي الذى نراه ما هو الا السبيل الوحيد الى اظهار هذه الطاقة .. لهذا كان الايمان فى حاجة الى شئ يظهره ويجسده .. الى مظهر مادى يجليه .. وأحب المظاهر التى ترفع راية الايمان ما كان مقرونا بالخير للبشر ..

وقد وضحت مظاهر الايمان فى الاديان فى الصلاة .. مثلا .. وفى الصوم . . فى العبادات على وجه العموم . . والعبادات ولو أنها لله جميعها الا أن مظهر العبادات المتصل اتصالا وثيقا بالنفس هو مادار حول المعاملات أو الماديات .

ونحن نعيش فى عالم تصطرع فيه القوى « والمادة » اصطراعاً غريبا ، وكلهم يدعى أنه يعمل لخير الانسانية ، وأن هدفه هو اسعاد الناس .. حتى المحارب الذى يدعو للحرب . يدعو للحرب لمنع الحرب وخوفا على سعادة الانسان وراحته ، ثم هو فى نفس الوقت يعمل على قتله وتشريده . .

وهذه المبادئ كلها هدفها أن تجعل من المجتمع البشرى حقلا لتجاربها .. وأشد ما يصيب الانسانية هو أن تكون حقلا للتجارب .. فتلقى الانسان فى دوامات لا أول لها ولا آخر لتصل الى الحق والصدق والسعادة .. بل هى لا مانع لديها من أن تشقيه لتصل فى آخر المطاف الى شئ من الحسنات .. وقد لا تصل الا إلى الجحيم المقيم .

ولقد تعاقبت على الانسانية النظم المختلفة من فجر التاريخ حتى الآن واستبدل الانسان نظاما بنظام وحكما بحكم ، ولم نعلم أن نظاما بعينه أو حكما بذاته قد بلغ غايته وقطع المرحلة إلى آخر الشوط . لا قدماء المصريين ولا اثينا أو اسبارطه أو روما ولا التتار والمغول والفرس . .

حتى فى العصر الحديث لم نجد حكما قد خلص من شائبة النقد ، أو أن نظاما بلغ غايته حسب ماوضع . . لا يوجد الا نظام مالى واحد بلغ غايته واستوفى غرضه . . وهو النظام الوحيد فيما نعلم الذى انتهى هذه النهاية والذى وصل الى هذه النتيجة .

أرسل والى الصدقات فى افريقيا الى عمر بن عبد العزيز يقول له : لم يبق فقير يحتاج الى الصدقة ، ففى أى موطن أنفقها ؟ فقال له : سدد دين المدين ، فسدد دين المدينين . ثم أرسل اليه مرة ثانيه يقول له : لقد سددت دين المدينين ، حتى لم يبق مدين لم يسدد دينه ، فقال له : اشتر رقاب المسلمين وأعتقها ، فأخذ يشترى من الرقاب ويعتق [1]

وهكذا يرى العالم الآن أن بيده مبدءا من مبادىء المعاملات يمكن أن يركن اليه لتحقيق سعادته كاملة غير منقوصة . . وهذه المبادىء طبقت بنجاح وثبتت صلاحيتها .. لقد طبق نظام الزكاة فى العالم العربى قديما وثبت نجاحه حتى لم يبق فى الدولة فقير واحد محتاج للزكاة . مالنا لا نطبق ـ فى العالم أجمع ـ هذا النظام ، لنصل الى السعادة والأخوة والعدالة ـ وهى غاية كل مبدأ وكل نظام .. .

انى أدعو لتطبيق هذا النظام كنظام عالمى عام .

لقد طبق هذا النظام ونجح ـ وبلغ من نجاحه أنه فى فترة بسيطة لم يبق هناك فقير . ما المانع فى أن أطبقه ؟

---

(١) لواء الاسلام ص ٥٦٧ عدد ٩ م ١٢ للاستاذ محمد أبو زهرة

لقد أطلق على هذا النظام اسم «النماء» الزكاة . . لقد كانت غاية هذا النظام وضع الأموال فى الأسواق وتداولها، واحداث الرخاء والنماء نتيجة عدم اختزان الأموال ... والقضاء على الفقر ومحاربة بطالة الأشخاص والأموال .

ولقد نجح النظام نجاحا باهراً .

التداول زاد ـ بطالة المال قضى عليها نهائيا ـ الفقر انتهى ـ لم يبق فقير واحد مستحق .

ولقد تساءل الناس . . كيف تكون خسارة المال نماء له ؟

ولقد كان الناس فى حيرة من الاسم، كيف يكون الانفاق سبيلا إلى زيادة المال ونمائه ... ونسب البعض مسألة نماء المال وزيادته إلى البركة التى تحصل من إخراج الزكاة . . .

ولكن للمسألة وجه آخر الآن بعد ما عملت البحوث الوافية على الدخل القومى ووجد أن من أسباب الأزمات الكبرى ـ حبس المال وعدم إنفاقه، وأن القرش الذى يدور فى السوق يصل فى نهاية أمره إلى أن يكون آلافا من القروش، بينما القرش الذى يخزن دون الاستفادة منه يحبس عن السوق آلاف القروش .

ولذلك كان هذا النظام نظام نماء حقيقى نظام زيادة فى المال وزكاته والعمل على زيادة تداوله .

هو يزيد فى النماء والثروة القومية لأنه يكره بطالة الأموال ، وهى سبب الانكماش الاقتصادى والأزمات ، وتعمل على إيجاد فرص العمل للعمال وللناس على السواء ، وهى أساس الرخاء والتقدم الاقتصادى .

وهو ينقل المال من يد صاحب المال العاجز عن استثماره إلى الأيدى التى تتداوله .

إذن هذا نظام مالى صادق صميم .. يعمل على زكاة المال ونمائه وتطوير الاقتصاد .

أساس النظام القضاء على بطالة المال واختزانه ، وبالتالى على البطالة فى المجتمع ...

أساسه دفع الأموال إلى الأسواق ، ولهذا فهو بركة حقيقية ملموسة . . اقتصادية .

محت بالفعل الفقر فى الدولة العربية القديمة ولم يعد بها فقير واحد ـ واحد يستحق الزكاة . وذلك بعد مدة بسيطة .

ناهيك بما يوفره لنا رصيد الحب بين الناس وتضامنهم وتعاونهم وإشاعة البركة فى كل مال يصل إلى أيديهم ، فكأننا من طريقه نصل إلى البركة والحب والتعاون ومحو الفقر ، ونصل إلى تحقيق السعادة . ومن المعلوم أن الإسلام حارب أول ما حارب الفقر ـ

جاء فى الحكم الاسلامية المأثورة «لو كان الفقر رجلا لقتلته».
ولقد عمل الإسلام على قتل الفقر ، وقتله بالفعل بنظام الزكاة كما
هو ثابت تاريخيا وعلميا ولم يثبت حتى الآن أن أى نظام آخر قد
وصل إلى ما وصل إليه الإسلام فى هذا السبيل .

— ١٤ —

التدريب

ولن تجد إنسانا كائنا من كان يمكنه أن يعارضنا فى أن الدستور الاول يجب أن يكون « أن يحب الانسان لأخيه ما يحب لنفسه » ، وأن يعمل على إفشاء السلام وجعله عادة ، وأن يمكن لشريعة الحب والإخاء والتسامح . .

وكل هذا يتطلب رياضة بسيطة عملية وتدريبا سهلا ... ففريق الرياضة يتدرب قبل الدخول للملعب ، والموسيقى والممثل يقوم بعمل البروفات ليصبح الأمر عنده عادة سهلة ، وشريعة السلام والحب والإخاء والتسامح تتطلب رياضة خفيفة وتدريبا مقبولا ، حتى يحب الانسان أخاه عملا ، وحتى يصبح السلام عقيدة عملية ، والتسامح والإخاء عادة وطبعا وكيفاً .

هذه الرياضة وضعت منذ حوالى ١٤٠٠ سنة ، وقد أملتها الفطرة السليمة والحب الحقيقى للإنسان والرغبة فى إسعاده . وهى تتطلب من الإنسان أن يوجه بعض ماله إلى أخيه ، وأن يكون التكافل بينهما تاما فى سبيل إيجاد مجتمع سعيد ، وأن يعمل الكل فى سبيل الإنتاج وزيادة التداول .

وإنى أدعو الناس جميعا إلى ممارستها وتنفيذها لا عن رغبة

فى الخير فحسب ، وحب الغير والمحافظة على الإخاء ، بل أدعو الناس إلى ممارستها باعتبارها ضرورة ملحة ، وباعتبارها عاملا من عوامل المحافظة على الإنسانية نفسها وبقاء البشرية ، فلم يعد الأمر يحتمل جدلا أو تسويفا .

يجب أن نؤمن بذلك وأن نعلم أن المحافظة على الانسان نفسه أصبحت ضرورة عاجلة .. ويجب أن نمارس هذه الرياضة باعتبارها حاجة لى ولك ، حتى تصبح شريعة الحب والإخاء والتسامح والسلام أصيلة فى نفوسنا ، باعتبارها تدريبا ورياضة توصلنا إلى شريعة الحب الخالدة ، وهى السبيل الوحيد لعدم هلاك البشر كافة .

وإنى أدعو إليها الناس كافة ... أدعو أهل الشرق والغرب إلى الحرص على تنفيذها باعتبارها نظاما كاملا يجعل حب الإنسان لأخيه الإنسان عادة وطبيعة وكيفا ، وتوصلنا إلى السلام الدائم والأمان ، وفيها للإنسانية طريق الخلاص والإسعاد .

سأحب جارى وزميلى فى الإنسانية ، وأخى فى الوطن الصغير ثم الوطن الأكبر ، عن طريق العمل وممارسة الخير والحب . وهذا سيوصلنا سريعا إلى شواطىء الإخاء والتسامح والسلام ، ويؤكد فى أعمالنا شريعة الحب بالممارسة والعمل والسعادة .

أن النظم تتحصن بالقوانين والمدافع والسجون بل والقنابل الذرية ضد أى خطر ، وهى تعتبر أى دعوة من نظام آخر خطرا عليها . . . ولكننا بصدد رياضة عامة يمكن أن يشترك فيها الجميع ـ لافرق بين شرقى وغربى ـ اشتراكى وفاشستى . . رياضة تعلم الحب ، وتنشر الإخاء ، وتزرع التسامح ، وترفع لواء السلام فى البلد الواحد وفى العـــالم كله ، وتجعل شريعة حب الغير هى الشريعة السائدة ، وبذلك نتقارب ونتحاب . . وتنمو غريزة الحب فى نفوسنا ، وتزول تدريجيا الرغبة فى الحرب والاعتداء والتخريب .

ومعلوم أن الطاقة فى الأنسان محدودة ، وأنه إذا استنفد طاقة معينة استلف من طـاقة أخرى ، فاذا استنفدت طـاقة الفرح اقترضت من طاقة الحزن بعض الدموع ، فاذا نمت طاقة الحب والتسامح والإخاء والسلام نمت على حساب طاقات الحقد والشر وحب الاعتداء والتهديد .

والرياضة التى أعرضها تتلخص ـ كما سبق أن قلت ـ فى أمور ثلاثة :

١) زيادة تداول المال ، وبالتالى زيادة الانتاج

٢) اعتبار صاحب الثروة ـ صاحب وظيفة عامة عليها تكاليفها المعقولة بالنسبة للمجتمع .

٣) أداء واجب هذه الوظيفة الى مستحقيها .

والحق الذى يؤدى بمقتضى هذه الرياضة لاشأن له بالضرائب العادية المختلفة فى كل بلد من البلدان ، فما يدفعه الجمهور للحكومات من مختلف الضرائب فى مختلف البلدان هو مقابل إنشاء المشروعات التى تعود على الجمهور بالنفع - من صحة ودفاع وعلم ومحافظة على الأمن . . أما هذه الرياضة فهى ضريبة الحب والإخاء والتكافل الاجتماعى والتسامح والسلام .

وقد سميت هذه الرياضة وقت وضعها باسم يدل على النماء والزيادة « الزكاة » ، وقد عجز الناس عن فهم هذا المعنى - كيف يزيد مالى وأنا أعطى بعضه للغير - وكيف ينمو وأنا انتقص منه ؟ .. وقد فات الباحثين ان هذا النظام الاقتصادى أريد منه زيادة التداول وعدم حبس الأموال وتشغيل جميع الأيدى العاملة - وأن هذا هو العمل على إنماء وزيادة الثروة العامة ، وأن اللفظ يقصد منه الزيادة الحقيقية المادية والنماء المباشر للانتاج وللثروة العامة .

الدخل العام

ولهذا السبب وضعت القواعد الآتية :

١) إخراج الحوائج الخاصة من وعاء الضريبة ، اطلاقا . ماعدا الحلى فتجب فيها الضريبة .

٢) إخراج آلات الصناعة وعدم خضوعها لهذه الضريبة إطلاقا ، وكذلك كتب العلم وأدوات البحث العلمى .

٣) فرض ضريبة قدرها ٢٠ ٪ أو الخمس على كل ما يكنز .. فان كنزت المال بقصد حبسه عن التداول فان ضريبة النماء فيه هى الخمس .

٤) فرض ضريبة قدرها ٢٠ ٪ على كل مستخرج من باطن الأرض (الركاز) يلحق به البترول والذهب والفضة ، ومايستخرج من البحر مثل العنبر واللؤلؤ والمرجان .

٥) فرض ضريبة النماء على كل عروض التجارة والمال بمعناه العام ، وما يستخرج للاتجار سواء كان ذلك سلعا أو منازل تؤجر أو أطيانا . ويستثنى من ذلك ما يستعمله الشخص لنفسه مثل الثياب والأثاث وأدوات الركوب وسلاح الاستعمال ـ غير أنها تجب فيما يستعمل للزينة ـ وهى مفروضة فى كل ذلك بواقع ٢,٥ ٪ أى

ربع العشر .

٦) غلة الأرض وتقدر بـ ١٠ ٪ اذا كانت الأرض تروى بالراحة ، و ٥ ٪ اذا كان تروى بالآلات . ويلحق بغلة الأرض صيد البحر من الاسماك بواقع ٥ ٪ أيضا .

وهى تستحق على زراع الأرض بمجرد ظهور الغلة ، وكذلك تستحق على الركاز (البترول والذهب والفضة وما شابه واللؤلؤ والمرجان) بمجرد استخراجها . . وهى تستحق على باقى الأموال بمعناها العام ـ عقارات تؤجر ، وأملاك تستثمر ، وعروض تجارة بمرور عام عليها فى ملكية صاحبها ، وتستحق فى المال المكنوز « الحلى وما تحت البلاطة » بمرور عام على كنزه ، وسنضرب أمثلة موضحة فيما يلى :

أمثلة

المثال الاول

موظف يتقاضى ٥٠ جنيها مرتبا ـ لا ضريبة

فى أول السنة كان لديه مال مدخر قدره ٥٠ جنيها ، ثم جاءت أول السنة التالية وكان لديه ١٢ جنيها مدخرة ـ معاف من الضريبة

جاءت أول السنة التالية وعنده ١٣ جنيها

[يدفع ضريبة الـ ١٣ جنيها وقدرها ٣٢,٥ قرشا]

المثال الثانى :

تاجر لديه بضاعة فى أول السنة قيمتها = ١٠٠٠ جنيه ثم مر عليها العام وكانت قيمة بضاعته = ٥٠٠ جنيه منها ٢٥٠ جنيها مر عليها العام ولم تتحرك ـ يدفع الضريبة على ٢٥٠ جنيها قيمة البضائع التى لم تتحرك وقدرها ٦,٢٥٠ مليم جنيه ويمكن إخراجها عينا أى من نفس البضاعة ، وهنا تظهر حكمة الضريبة .

يقول النص فى اطلاقه « عروض التجارة » وقد فسرت بأنها على عروض التجارة كافة . ولما كان الأساس هو مرور العام كاملا فإن رأيى فى التفسير أنها تكون على البضاعة التى لم تتحرك فى مدة سنة كاملة .

المثال الثالث :

تاجر لديه بضاعة فى أول السنة قيمتها ١٠٠٠ جنيه وكانت قيمة بضاعة آخر السنة ٨٠٠ جنيه وعليه دين ٩٠٠ جنيه ، لا يدفع شيئا لأن قيمة الدين تستغرق قيمة البضاعة التى مر عليها العام .

المثال الرابع :

تاجر لديه بضاعة فى أول السنة قيمتها ٨٠٠٠ جنيه ومر عليه العام وكانت قيمة بضاعته ١٢٠٠ جنيه منها ٣٠٠ جنيه لم تتحرك ، ربح ٣٠٠ جنيه ، يكون وعاء الضريبة كالآتى :

٣٠٠ جنيه البضاعة التى لم تتحرك × ٢,٥ ٪ = ٧,٥ جنيه للبضاعة ويمكن إخراجها من البضاعة عينا

٣٠٠ جنيه الربح — ٢٠٠ جنيه الدين = ١٠٠ × ٢,٥٪ = ٢٥ جنيه للربح .

المثال الخامس :

تاجر لديه بضاعة ١٢٠٠ جنيه ـ وربح ١٥٠ جنيها عليه ديون ١٥٠٠ جنيه ما دام الدين يستغرقه رأس المال فلا ضريبة .

المثال السادس :

مالك لديه منزل ضريبته ١٠ جنيهات يسكن فى جزء منه ، غل إيراداً صافيا ـ غير سكن المالك ٧٠ جنيها يدفع ضريبة قدرها : ٧٠ × ٥ ٪ = ٣,٥ جنيه

الرأى أن المنازل لازكاة عليها ، والحقيقة أنه فى صدر الإسلام كانت البيوت تستخدم غالبا لسكن أصحابها لا للاستغلال ، لكن التطور الحادث من اعتبار المنازل أداة استغلال يجعلها تقاس على حالة الأرض وإنتاجها وتدفع ٥٪ من الإيراد قياسا على الأرض التى تروى بالآلة ، لأن المنازل تستهلك .

المثال السابع :

مالك لديه ٢٠ فدانا ، ضريبة الفدان ٢ جنيه يؤجرها بسبعة

أمثال الضريبة أى بمبلغ ٢٨٠ جنيها ، يدفع الضريبة العشر من صافى الإيجار أى ٢٨٠ يخصم منها الضريبة ١٤ جنية ثم يخصم منها ما يخصها من ضريبة الايراد العام ونقدرها فرضا ١٦ جنيها يكون الصافى ٢٥٠ جنيه يدفع عليها الضريبة ٢٥ جنيه .

المثال الثامن :

مستأجر الأرض السابقة :

غلت له الأرض محصولا قيمته ٤٠٠ جنيه يخصم منه الايجار ٢٨٠ جنيه يكون الباقى ١٢٠ يخصم منه الكيماوى والبذرة ٥٠ جنيها يكون الصافى ٧٠ جنيها يدفع ٧ جنيهات زكاة .

ملاحظة : إن كان هناك دين على المالك بسبب الأرض أو على المستأجر بسبب الزراعة يخصم من وعاء الضريبة .

ملاحظة : الرأى على أن الزكاة تدفع على الزارع وحده ، لكن أبا حنيفة يرى أنها على المالك ـ وفى مشروع الأستاذ واكد الذى راجعه الأستاذ أبو زهرة ولفيف من العلماء أباحوا دفع المالك للزكاة ، وكذلك أقروا زكاة المنازل المعدة للاستغلال . وإن كان رأيهم له صورة أخرى للتنفيذ .

ملاحظة : الرأى على أن زكاة الزرع لا تتأثر بالدين أو المنصرف لكن السيد المفتى له رأى فى خصم ما يصرف على الزراعة .

المثال التاسع :

سيدة لديها حلى تقدر بمبلغ ٢٥٠ جنيها مر عليها العام ضريبتها

مليم جنيه
تقدر بمبلغ ٦٫٢٥٠ أى بواقع ٢٫٥ ٪ إن زادت الحلى على ٢٥٠ جنيها تعتبر فى رأيى كنزا وتستحق ٢٠ ٪ من المبلغ (١)

فالـ ٢٥٠ جنيها عليها ضريبة ٦٫٢٥٠ أما مازاد عن ذلك فقيمة ضريبته الخمس باعتباره كنزا .

المثال العاشر :

أثناء الحفر فى الأرض التى يملكها أحد الأشخاص وجدت بئر للبترول تدر بترولا خاما قيمته ١٠٠٠٠٠ جنيه سنويا بعد المصاريف

ضريبته ٢٠٠٠٠ جنيه أى الخمس ، وكذلك كل الركاز ، أى ما يركز فى الأرض من معادن بكافة أنواعها .

المثال الحادى عشر :

رجل يكنز مبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه لا يستخدمها للتجارة (٢) ولا

---

(١) الحلى عند الشافعية تستحق فيها الزكاة

(٢) حبس المال عن التداول يعتبر كنزا « والذين يكنزون الذهب والفضة »

يستغلها فى أى نوع آخر ، يدفع ضريبة فى رأى الخمس اذا مر عليها عام كامل وقدره ٤٠٠٠ جنيه ، وفى ثانى سنة يدفع على الباقى وهو ١٦٠٠٠ جنيه الخمس وقدره ٣٢٠٠ جنيه ، وفى ثالث سنة يدفع الخمس على الباقى

وهنا تظهر حكمة هذه الضريبة وفعلها فى نماء الأموال . فاما أن يستغلها صاحبها ويدفعها للتداول أو تأخذ فى التناقص تدريجيا ، ومبلغ الضريبة سيستخدم فى التداول حتما وحبس المال عن التداول يعتبر كنزا « والذين يكنزون الذهب والفضة »

ويمكن اجمال حكم ضريبة النماء كالآتى :

(١) ٢ ½ ٪ عن المال الذى مر عليه حول كامل فى كل المدخرات وما يستخدم للاتجار سواء كان ذلك سلعا أو منازل أو أطيانا أوماشية ، ويستثنى من كل ذلك مايستعمله الشخص لنفسه

ـ دور السكن والثياب واثاث المنزل ودواب الركوب وسلاح الاستعمال ـ غير أنها تجب فى ما يستعمل للزينة كالحلى ـ ولا تجب اطلاقا فى آلات الصناعة وكتب العلم سواء كان مالكها من أهل العلم أم لا إلا اذا كان ذلك للتجارة ، فتصبح سلعا تجارية

وتجب الضريبة فى الدين . وتستحق الزكاة بالقبض أى بقبض الدين لأن الدين لم يخرج عن كونه مالا انما يعلق دفع الضريبة على قبضه خشية ضياعه

وفى كل ذلك يشترط مرور العام وبلوغ النصاب وهو ١٢ جنيها أما ما قل عن ذلك أو ما لم يمر عليه العام فلا ضريبة عليه

(٢) ١٠ ٪ من غلة الأرض اذا كانت تسقى بالراحة حسب التفصيل السابق

و ٥ ٪ » » » » » » » بالآلات

ويلحق بغلة الأرض حكما غلة الماء من السمك فتجب فيه الزكاة بمقدار ٥ ٪ أما ناتج الماء من العنبر واللؤلؤ فيعتبر من الركاز وتستحق فيه الخمس .

(٣) ٢٠ ٪ من ركاز الأرض وهو كل ما يوجد بباطن الأرض من ذهب وفضة وبترول وماس وخلافه ويلحق به حكما ناتج الماء من العنبر واللؤلؤ

ولا يشترط فى ٢ ، ٣ دور العام وانما تستحق الضريبة بمجرد ظهور الغلة والركاز وفى رأيى بلوغ النصاب أيضا أى ما يوازى ١٢ جنيها انما ما قل عن ذلك فلا ضريبة

أين تصرف هذه الضريبة ؟

أين يصرف المال ؟

أبواب صرف هذه الضريبة محدودة أيضا

١) الفقراء وهذا واضح

٢) المساكين وهم الفقراء الذين يمنعهم حياؤهم من الطلب

٣) العاملين عليها أى الموظفين المنوط بهم تحصيلها وصرفها
٤) المؤلفة قلوبهم ـ وفى رأيي المنوط بهم نشر الدعاية
٥) وفى الرقاب ـ وفى رأيي أيضا افتداء وتأهيل أسرى الحرب
٦) والغارمين التجار الذين أصيبوا بضربة والعمل على اعادتهم للتجارة والمدينين على وجه العموم . فاذا كان هناك تاجر عليه ٢٠٠ جنيه زكاة ولديه عميل غرم فى التجارة يمكن معافاته بمقدار المستحق من الزكاة
٧) وفى سبيل الله ، وفى رأيي البحث العلمى وتقدمه والجهاد ـ المؤسسات العامة
٨) وابن السبيل ـ للمسافرين اذا انقطعت عنهم مواردهم حتى يعودوا لبلادهم . حتى لو كانوا أغنياء فى بلدهم

ضريبة موجهة

وكل ذلك لا على سبيل الاحسان والصدقة والتبرع ولكنه باعتباره حقا لكل من هؤلاء ليبدأوا حياة وليواصلوا عملا . أى أن هذه الضريبة ضريبة موجهة لأشياء محددة مبينة على سبيل الحصر لتقرب بين الناس ولتجعلهم متحابين متعاونين متكافلين . ولتعمل على عدم حبس النقود وتداولها ، ولتجعل الناس يمارسون شريعة الحب والاخاء عملا ، وفى هذا ما يجعل الانسانية ترتفع بقيمتها السامية ـ وتسير نحو عالم أفضل يسوده الاخاء ويغمره الحب وقد فشا السلام

بين الناس عن عادة وطبيعة

أما من شاء بعد ذلك أن يخرج عن جزء من ماله لغرض آخر فله أجره ـ وله تقديره ـ أما من رأى بعد ذلك أن المال الذى لديه يجعله صاحب وظيفة عامة وعليها تكاليف أخرى فليس بمانعه أن يؤدى الامانات إلى أهلها وأن يقدم ما يعتقد أنه واجب وأنه حق وأنه أجدر بتدعيم روابط الأخوة والحب والسلام .



تفضل الأستاذ الكبير ـ الكاتب ـ العالم ـ الشاعر الشيخ الصاوى على شعلان بإرسال هذه القصيدة الفريدة فى موضوع الكتاب .

أو ليس نور الشمس برهانا يدل على النهار
أفلا تقوم بحجة البانى معاينة الديار
إن كان عش النمل يثبت أن مخلوقا بناه
أوليس كل الكون يشهد أن خلاقا براه
فوجود رب العالمين هو الدليل على وجودى
سبحان من وهب الحياة وزاد فضلا بالخلود
أخلقتمو من غير شىء ! ما لكم لا تنصفون
أم جئتم الدنيا بقدرتكم فأنتم خالقون

من علم المعدات عند الهضم سحر الكيمياء

أفلم تروها كيف تبنى الجسم من خبز وماء

بعض الغذاء دم وذاك البعض لحم أو عظام

أى المعامل كان يصنع كل هذا من طعام

الجاذبية والجرائيم الدقيقة والأثير

وأشعة لولا نتائجها لأنكرها البصير

لا تجحدون وجودها فيكم ولا تستنكرون

وترون آيات الإله فتجحدون وتكفرون

ماذا روى الصاروخ عن أوهام كهان الفضاء

هل طاولت أقماركم فى نورها قمر السماء

ولقد تحداهم كتاب الله لو قرأوا الكتابا

أن يخلقوا فى هذه الدنيا بقدرتهم ذبابا

والأرض من صنع الإله بها ملايين الشجر

هاتوا نباتا واحداً فى الأرض من صنع البشر

لا تحسب الأقوام جاءوا عصرهم بالمعجزات

قد أنكروا خلاقهم كى يستبيحوا المنكرات

تكسو الطبيعة روضها وشى الغصون الحالية

ورياضهم تختال تيها بالفنون العارية

فى مصرع القيم الكريمة يختفى وجه الكرامة

وقيام عصر الملحدين نذير أهوال القيامة

يارب أنت منحت بعض الناس أسرار الفضاء

ما بال سر الحق والإيمان عنهم فى خفاء

فعتوا رجال الدين بغيا بالتحايل والرياء

هل هم أناس مثلكم أو هم بقية أنبياء

وهبوا رجال الدين منحرفين أو متخلفين

أصلاتكم لله أم كان السجود لراسبوتين

أيكون إهمال السقيم دليل بطلان الدواء

أيصير ضوء الصبح ليلا عند إنكار الضياء

ومحمد ترك الشريعة ثروة للمؤمنين

الكل مسئول وكل المسلمين رجال دين

والله مستغن عن العاصى وعن بر المطيع

فالكل مفتقر له وهو الغنى عن الجميع

عش فى هدى الإيمان وامض على الصراط الأقوم

واجعل سراجك فى الطريق كتاب عبد المنعم

جمع الكثير من المعانى الغر فى لفظ يسير

واللؤلؤ الغالى صغير وهو فى قدر كبير

يلحق بهذه الضريبة التى شرحناها : زكاة الفطر ، وأضحية العيد . ولما كان النظام الاقتصادى فى الدولة الإسلامية متكاملا ، وكان يعتبر مثلا أعلى للنظم الاقتصادية ، وعمل على حل مشكلات العالم القديم وفى مقدمتها مشكلة الرقيق - وكانت من أعقد المشاكل - فان هذا النظام جدير بحل مشكلات العالم الجديد ، بعمقه ، وعدالته ، وشموله

ولذلك آثرنا أن نتناول النظام كله بالبحث فى كتاب مستقل .

والله المستعان

إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان .

قرآن كريم

وكذلك جعلناكم أمة وسطا

قرآن كريم

يرفع الله الذى آمنوا والذين أوتوا العلم درجات .

قرآن كريم

أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فمن توفى من المؤمنين فترك دَينا فعليّ قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو لورثته .

حديث شريف

أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى .

حديث شريف

كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه ، وماله .

حديث شريف

العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

حديث شريف

لو باتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أن الله سائلي عنها يوم القيامة

عمر

لو كان الفقر رجلا لقتلته

علي بن أبي طالب

للمؤلف

معتقدات قدماء المصريين وآدابهم

طبع القاهرة ١٩٢٥

من جيل الى جيل

طبع القاهرة ١٩٣٥

مبادىء المبادىء

طبع القاهرة ١٩٤٧

الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الشمال الإفريقى

طبع القاهرة ١٩٥٨

أسئلة الأطفال : كيف نواجهها ، ونفيد منها

ترسل مجانا لمن يطلبها

عصر الإيمان

طبع القاهرة ١٩٥٩

تحت الطبع :

النظام الاقتصادى فى الدولة الاسلامية

اللآلىء « شعر »

تصويب

رقم ٢٥ بآخر السطر ٣ فى الصفحة ٦٤ صوابه ٢,٥

للمؤلف

معتقدات قدماء المصريين وآدابهم

طبع القاهرة ١٩٢٥

من جيل الى جيل

طبع القاهرة ١٩٣٥

مبادىء المبادىء

طبع القاهرة ١٩٤٧

الأمير عبد الكريم الخطابى بطل الشمال الإفريقى

طبع القاهرة ١٩٥٨

أسئلة الاطفال : كيف نواجهها ، ونفيد منها

ترسل مجانا لمن يطلبها

عصر الإيمان

طبع القاهرة ١٩٥٩



تحت الطبع :

النظام الاقتصادى فى الدولة الاسلامية

اللآلىء « شعر »